

دور الشعر المعاصر في تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٦/٢٦ هـ. ش

تاريخ القبول: ١٣٩٠/٩/٢ هـ. ش

محمد رضا حاجي اسماعيلي*

مجيد خزاعي**

زهرا قاسم نژاد***

الملخص

أشرنا في هذا المقال إلى استخدام الطبرسي صاحب مجمع البيان لعلوم القرآن للشعر، والطبرسي استخدم الشعر لمعالجة الجوانب المختلفة للآية واعتمد على الشعر اعتمادا أساسيا لدعم آرائه وحججه. واختيار الطبرسي للشاهد الشعري، الذي سنعالجه في هذا المقال، يجعل منه ذؤافة في الأدب والنقد والتفسير، خاصة عندما تكون اختياراته جيدة، وربما كان في ذلك ردّ للنظرية القائلة إنّ القرآن الكريم ضدّ الشعر أو يحرم الشعر.

إنّ إحصاء مظاهر دور الشعر في مجمع البيان لعلوم القرآن غير يسير، لكثرة الشواهد فيه وتشعب مواضيعها ومهما حاولنا التمثيل على هذه المظاهر نجد أنفسنا قاصرة عن إيفاء حقّها، فلكل شاهد قصة وموضوع وغرض؛ لذا سيقترن عملنا في هذا المقال على تبيان أهم الجوانب الشعرية الرئيسة حرصا على الإيجاز.

الكلمات الدليلية: التفسير، الشاهد الشعري، الطبرسي، مجمع البيان لعلوم القرآن، الشعر المعاصر.

*. أستاذ مشارك بجامعة إصفهان، إيران.

** عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية في جيرفت، إيران.

*** طالبة في مرحلة الدكتوراه بجامعة إصفهان، إيران.

المقدمة

يمتاز تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي بجزالة لفظه، ومتانة أسلوبه، ووضوح مقصوده وجمعه بين ذكر الآراء المختلفة في المسألة مع الاختصار. والمقصود بالاختصار هنا هو: الاختصار في ذكر الرأي، وليس في حجم الكتاب، والكتاب يمتاز عن سائر التفاسير بتناوله الجوانب المختلفة للآية من قراءة وحجة (توجيه) ولغة وإعراب ومعنى وسبب نزول وغيرها. وهو يمتاز بميزة أخرى جعلته شاخصاً ومشهوراً بين كتب التفاسير، وهذه الميزة هي: تناوله الجوانب المختلفة للآية بشكل منفصل بعضها عن البعض الآخر بصورة مطردة فهو يذكر القراءة تحت عنوان خاص، ثم يذكر تخريج القراءة وتوجيهها تحت عنوان الحجة، ثم اللغة، ثم النحو، والتفسير، تحت عنوان المعنى وسبب النزول إن كان للآية شأن في ذلك.

والطبرسي استخدم الشعر لمعالجة الجوانب المختلفة للآية واعتمد على الشعر اعتماداً أساسياً لدعم آرائه وحججه. واختيار الطبرسي للشاهد الشعري، الذي سنعالجه في هذا المقال، يجعل منه ذواقة في الأدب والنقد والتفسير، خاصة عندما تكون اختياراته جيدة، وربما كان في ذلك ردّ للنظرية القائلة إنّ القرآن الكريم ضدّ الشعر أو يحرم الشعر، ليس صحيحاً أنّ الشعر حرّمه الله، بل نجد المسلمين يكرمون الشعر والشعراء، ولا أدلّ على ذلك من الرعاية النبوية التي أحاطت بموكب الشعر العربي... كان عليه السلام يعجبه الشعر، ويُمدح به، فيثيب عليه ويقول (هو ديوان العرب).

وقال شوقي ضيف: إنّ الشعر في حياة الرسول (ص) كان يجري على كلّ لسان، ويكفي أن نرجع إلى سيرة ابن هشام، فسترى سُيُوله تتدافع من كل جانب، وحقاً فيها شعر موضوع كثير، ولكن حينما يُصَفَّى وحين نقابل عليه ما ارتضاه ابن سلام وغيره من الرواة الموثوق بهم، نجدنا إزاء ملحمة ضخمة تعاون في صنعها عشرات من الشعراء والشاعرات.

فنرى في ذلك المجال أنّ القرآن لم يحرم الشعر ولم يكن ضده، وأنّ الطبرسي اختار أحسن الشاهد الشعري، بسعة اطلاعه وغازاة علمه ومعرفته بكلام العرب.

إنّ احصاء مظاهر دور الشعر في مجمع البيان لعلوم القرآن غير يسير، لكثرة الشواهد



فيه ومهما حاولنا التمثيل على هذه المظاهر نجد أنفسنا قاصرة عن إيفاء حقها فلكلّ شاهد قصة وموضوع وغرض لذا يستقصر عملنا في هذه الدراسة على تبيان أهمّ الجوانب الشعرية الرئيسية وهي الجانب اللغوي والجانب التاريخي حرصاً على الإيجاز.

الف. في الجانب اللغويّ:

يطيب للطبرسي الغوص في العلوم اللغويّة، التي كان الهدف الأساس من وضعها، خدمة الألفاظ والتراكيب القرآنية.

والقوانين اللغويّة، تخضع بالضرورة للتراكيب القرآنية، ولا تخضع هذه التراكيب إلى تلك القوانين، ويعتبر القرآن الكريم الأصل في جميع العلوم الدينيّة واللغويّة. اعتنى الطبرسي بالعلوم اللغوية وجعلها محور تفسيره، وساعد الشاهد الشعري على توضيحه، وقبل بسط نماذج مقتطفات من مجمع البيان على العلوم اللغويّة، لا بدّ من عرض موجز يبيّن كيفية ظهور هذه العلوم وأنواعها وأهدافها.

إنّ الجزيرة العربية وما حولها هي المهد الأوّل للعرب، عاشت في ربوعها قبائل متباينة تختلف في لهجاتها ولغاتها، واللغة العربية التي تتداولها اليوم، هي لغة الحجاز التي كانت قبل الإسلام لغات عديدة تعرف بلغات القبائل، وكانت مختلفة، قد يكون محور الخلاف فيها كلمات تستعمل للدلالة على معنى واحد؛ وقد تدلّ الكلمة الواحدة على معانٍ مختلفة، وقد يكون الخلاف في الحركات وهذا هو مجمل الخلاف في لغات العرب.

كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من اللغات، فصهرت جميع هذه اللغات في لغتها لهذا نزل بها القرآن الكريم.

وعندما كثرت الفتوحات واختلط العرب بالأمصار تفشّى اللحن، فأشفق العلماء على سلامة اللغة ونهضوا لوضع قواعد لها، فاستقوا جميع مفردات اللغة وتحديدها من القرآن والحديث والشعر، ومن سماع عرب البادية ومن نقل الرواة عن أسلافهم من مفردات واستعمالات، فمن جمع اللغة مما نطقت به العرب ولم يتعداه، سمّى لغويّاً ومن عالج هذا الجمع وتصرف به وقاس عليه، سمّى نحوياً ثم تفرعت العلوم اللغوية إلى اثني عشر علماً

هى: اللغة والصرف، والاشتقاق، والنحو، والمعانى، والبيان، والخط، والعروض والقافية وقرض الشعر، وإنشاء الخطب والرسائل والتاريخ.

وسأمثل من مجمع البيان لعلوم القرآن بنماذج فى استخدام الطبرسى لبعض هذه العلوم فى تفسيره. وقد لعب الشعر دوراً كبيراً فى توضيحها.

فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ (الزحرف: ٦٠) يتحدث الطبرسى عن معنى حرف جر «من» ويحتج بالشعر يقول: «من» قد تاتى للبدل أى جعلنا ملائكة بدلکم سکان الأرض يعمرونها ويعبدون الله. (الطبرسى، ١٤١٥ق، ج ٩: ٩٠)

وقال الشاعر:

فليت لنا من ماء زمزم شربة
من ماء زمزم أى بدل ماء زمزم.

وتفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر: ٦٤) يقول: تأمرنى القياس فيه تأمرونى ويدغم فيصير تأمرونى وجاز الإدغام إسكان النون المدغمة لأن قبلها حرف لين وهو الواو فى تأمرونى ومن خفف فقال تأمرونى ينبغى أن يكون حذف النون الثانية المصاحبة لعلامة المنصوب المتكلم. (الطبرسى، ١٤١٥ق، ٨: ٤١٣)

والمؤلف لحذف إحدى النونين من تأمرونى استشهد بقول الشاعر:

أبا الموت الذى لا بدّ أنى
مُلاقٍ لا أباك تُخوفينى^٢

استشهد المؤلف بهذا البيت لحذف إحدى النونين من «تأمرونى» فى قوله تعالى:

﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ﴾ (الزمر: ٦٤)

١. البيت من الطويل ليعلى الأحول الأزدي (?-٩٠هـ) يعلى بن مسلم بن ابى قيس البشكرى الأزدي، الأحول، شاعر أموى، والشاهد فى البيت قوله «من» قد تاتى للبدل. الشاعر فى هذا البيت يتمنى أن يكون لهم شربة ماء وضعت على قلة الجبل فصارت باردة شديدة بدلا من ماء زمزم. (يعقوب، ١٤١٣ق، ج ٢٢: ١٠٢٩؛ وابن عمر بغدادى، لاتا، ج ٤: ١٣٢؛ والمرزوقى، ١٤١١ق، ج ١: ٣٠٠)

٢. البيت من الوافر لأبى حبه النميرى (?-١٨٣ق) الهيثم بن الربيع بن زرارة من بنى نمير بن عامر، شاعر مجيد فصيح، راجز، من أهل البصرة، من مخفرمى الدولتين الأموية والعباسية، مدح خلفاء عصره فيهما. (ابن شاعر الكتبي، لاتا، ج ٤: ٢٤٢)

يقول: لا أبأ لك هل توعدينى وتخوفينى بالموت الذى لا مفر لى منه. (ابن عمر البغدادي، لاتا، ج ٢: ١١٦؛ والسيوطى، ١٤٠٦ق، ج ٣: ١٣٢)



وفي تفسير قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَواْ وَلاَ تَحِينْ مَنَاصٍ﴾ (ص: ٣) يقول: المَنَاصُ بمعنى التأخر والفرار والخلاص، و«لات حين مَنَاصٍ» أي نادوا لطلب الخلاص في وقت لا يكون لهم فيه خلاص. قال امرؤ القيس:

أمن ذكر ليلى إن نأتك تنوصُ
فتقصُرُ عنها خُطوةً وتَبوصُ^١

استشهد المؤلف بهذا البيت لمعنى «مَنَاصٍ» في قوله تعالى والشاهد في البيت قوله «تنوص» بمعنى «تتأخّر» وفي أصل كلمة «لات» يقول: فأصلها «لا» النافية ثم زيدت عليها التاء لتأنيث اللفظ. (الطبرسي، ١٤١٥ق، ٨: ٣٤٢) واحتج بقول الشاعر:

تَذَكَّرُ حَبَّ لَيْلى لَاتِ حِينَا
وأضحى الشيبُ قد قطع القرينا^٢

استشهد بالبيت لدخول تاء التانيث على «لا» في كلمة «لات» في قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَواْ وَلاَ تَحِينْ مَنَاصٍ﴾ (ص: ٣) وقيل: إن التاء في «لات» متصلة بحين كما قال الشاعر:

العاطفين تحين ما من عاطفٍ
وفي جواز الجر بلات احتجّ بقول الشاعر:

طلبوا صلحنا ولات أوانٍ
فأجبنا أن ليس حينُ بقاء^٤

١. البيت من الطويل لامرئ القيس بن حجر الحارث الكندي (١٣٠ - ٨٠ق) من بني أكل المرار، شاعر جاهلي، من أشهر شعراء العرب على الإطلاق. (الزركلي، ١٩٦٩م، ج: ١، ٣٥١؛ وابن حجر، ١٤٠٩ق: ٧٠٠) يقول: أمن ذكر ليلى واشتياكك إليها بعد أن هجرتك تتأخر عنها أم تجد في أثرها وتتقدم راجيا لقاءها.

٢. البيت من الوافر مطلع القصيدة لعمر بن شاس بن عبيد بن ثعلبة الأسدی، أبو عرار (? - ٢٠ق)، شاعر جاهلي، مخضرم، أدرك الإسلام وأسلم، عده الجمحي في الطبقة العاشر من فحول الجاهلية. (الجمحي، لاتا: ٤٤؛ وابن خلكان، ١٣٩٧ق: ٤١٨) يقول: تتذكر حبّ عشيقتك ليلى وليس الحين حين الحب والعشق لأن شيبك وبياض شعرك قد قطع علاقة كل قرين ومصاحب.

٣. البيت من الكامل لأبي وجرة السعدي، هو يزيد بن عبيد (? - ١٣٠هـ) من بني سعد بن بكر بن هوازن، أظّار رسول الله (ص) وكان شاعرا مجيدا ومشهورا من التابعين. (ابن قتيبة الدينوري، لاتا، ج: ٢، ٥٩١)

يقول: هم يعطفون ويطعمون على من سألهم إذا اشتدّت الأحوال ولم يجد المسترفد رافداً. ٤. البيت من الخفيف لأبي زيد الطائي (? - ٤١هـ)، واسمه حرملة بن المنذر وكان جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام ولم يسلم ومات نصرانياً. (الزركلي، ١٩٦٩م، ج: ٢، ١٨٥) يقول: لما ذاق بأسنا هؤلاء القوم طلبوا صلحنا، فقلنا لهم ليس الحين حين الصلح وهذا البيت مثل لمن طلب شيئا وقد فاته وذهب وقته. (الميداني، ١٤٠٧ق، ج: ١، ٢٨٦)



استشهد بهذا البيت لجواز الجر بكلمة «لات» وأن «لات» تجر الأحيان كما أن «لولا» تجر الضمائر نحو لولاك، ولولاه عند سيبويه وهذا مذهب الفراء. (الفراء، ١٤٠٣ق، ج ٢: ٣٩٨)

وعرّف صاحب مجمع البيان لعلوم القرآن المنادى المرخّم واستشهد عليها، مما جاء على لسان العرب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُونٌ﴾ (الزحرف: ٧٧)

يقول: في شواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والأعمشى «يا مال» وقول «يا مال» على المذهب المألوف في الترخيم يعني رخّم الاسم وحذف الكاف، قال الشاعر:

فأبلغ مالكا عنى رسولاً وما يُغنى الرسول لديق مالاً

(الطبرسي، ١٤١٥ق، ج ٩: ٩٥)

استشهد بالبيت لقراءة من قرأ «يا مال» على الترخيم في قوله تعالى: «ونادوا يا مالك» والشاهد في البيت قوله «مال» وقيل حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه. (الزمخشري، لاتا، ج ٤: ٢٦٤)

كما نقول في بداية البحث تفرعت العلوم اللغوية إلى اثني عشر علماً، واحد هذه العلوم، علم البلاغة، فالبلاغة ملكة في الأساليب في الجانب اللغوي. وأنزل الله تعالى القرآن بلسان العرب في أحسن أساليبهم ومنتهى بلاغتهم وعلى قدر طاقاتهم في الفهم، فعجزوا أمام بلاغته.

والبلاغة في حقيقتها ليست إلا ملكة البيان وقدرة النفس على حسن التعبير لتبليغ المخاطب بخواطر ما في وجدان المتكلم. ووضعوا علومها ليصل محصلها إلى امتلاك فن القول بالإسلوب المتين الذي يصيب المَحَزَّ.

وهنا نحن لسنا في معرض التحدث عن البلاغة عامة في القرآن الكريم، لأنه منبع كلِّ

١. البيت من الوافر مطلع قصيدة قصيرة للأقرع بن معاذ القشيرى، الأشجع بن معاذ بن سنان بن حزن، أخويني قشير وقيل: اسمه الأشيم بن معاذ بن سنان بن حزن. ونُسب البيت إلى شعبة بن قميير المازني. (أبو الفرج الأصفهاني، ١٤٠٧ق، ج ٢٠: ٢٠٢) يقول: أبلغ مالكا عنى وكن رسولى إلى مالك، وأنا أعلم أن الرسول لا يغنى عند مالك ولا يجدى شيئاً. (لأنه يخادعنى كما يخادع الذئب الغزال).



بلاغة وفصاحة، إنَّما يعيننا الشاهد الشعري الذي احتجَّ به الطبرسي على بعض علومها وسنكتفي بنماذج قليلة منها:
 في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (ص: ٢٣) نجد أنَّ النعجة تُعدُّ في علم البيان كناية. لأنَّها لا تُعنى النعجة الحيوان بحدِّ ذاتها وإنَّما تعنى المرأة والنساء والوصف الجامع بينهما هو التأنيث، وقال الشاعر:

يا شاةً ما قنص لمن حلَّت له حرمت علي وليتها لم تحرم^١

والشاهد هنا قوله «شاة» والعرب تكنى عن النساء بالطباء والشياة وهذا أحسن التعريض. (الثعالبي، لاتا، ج ٢: ٤٢٥)

مجاز المرسل أحد فروع علم البيان وقال صاحب مختصر المعاني في تعريفه: «والمرسل وهو ما كانت العلاقة غير المشابهة كاليد الموضوعة للجارحة المخصوصة إذا استعملت للنعمة والقدرة.» (الفتازاني، ١٤٢٥ق: ٣٣٨)

واستفاد صاحب مجمع البيان لعلوم القرآن من هذا العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (ص: ٧٥) ويقول: «لما خلقت بيدي» توليت خلقه بنفسى من غير واسطة عن الجبائى ومثله مما عملت أيدينا وذكر اليبدين لتحقيق الإضافة لخلقه إلى نفسه وهو قول مجاهد وقيل معناه خلقته بقدرتى عن أبى مسلم وغيره والعرب كما تطلق لفظ اليد للقدرة والقوة فقد تطلق لفظة اليبدين قال:

تَحَمَّلْتُ مِنْ ذَلْفَاءِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ^٢

١. البيت من الكامل لعنترة بن شداد العيسى (? - ٢٢ق)، أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى. (الزركلى، ١٩٦٩م، ج ٥: ٢٦٩)
 يقول: يا هؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلَّت له فتعجبوا من حسننها وجمالها لكنها حرمت علي. (ابن شداد العيسى، ١٤١٢ق: ١٧٨-١٧٩)

٢. البيت من الطوايل لعروة بن حزام (? - ٣٠ق) عروة بن حزام، من بنى عذرة، شاعر من مئيمى العرب، كان يحب ابنة عم له اسمها عفراء (وروى ذلفاء مكان عفراء) توفى عروة على ما ذكر الذهبى فى تاريخه فى خلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجرة. (الزركلى، ١٩٦٩م، ج ٥: ١٧؛ والأطاكى، ٢١٩ق، ج ٢: ٣٩)

يقول: حبها مستحيل لى لأنَّ هذا الحب حب ثقيل وحتى الجبال الثوابت الراسخات ليست لها طاقة لتحمل هذا الحب والعشق.

الشاهد في هذا البيت قوله «يدان» بمعنى القوة والطاقة لأن أكثر ما يظهر سلطان القدرة يكون في اليد، وبها تكون الأفعال الدالة على القدرة من البطش والضرب والقطع والأخذ وغير ذلك.

والمجاز العقلي من أبواب علم المعاني والمجاز العقلي هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول. (التفتازاني، ١٤٢٥ق: ٥٤) والطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: ٢٤) يقول: إن أهل الجاهلية كانوا ينسبون الحوادث المجحفة والبلايا النازلة إلى الدهر فيقولون فعل الدهر ولذا كانوا يسبّون الدهر فقال رسول الله إن فاعل هذه الأمور هو الله تعالى فلا تسبوا فاعلها. (الطبرسي، ١٤١٥ق، ج ٩: ١٣١) والمؤلف استشهد بقول الشاعر لانتساب أفعال الله إلى الدهر وقال:

فاستأثر الدهرُ العداةَ بهم والدَّهرُ يرميني وما أرمى
يا دهرُ قد أكثرتَ فجعتنا بسرّاتنا ووقرتَ في العظم^١

الشاهد في هذين البيتين انتساب أفعال الله إلى الدهر والإسناد إلى الدهر مجاز عقلي. وهكذا نجد الشاهد الشعري في تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن قد خدم الجانب اللغوي وزاده وضوحاً وأيده بما سال على لسان العرب.

ب. في الجانب التاريخي:

استخدم الطبرسي العلوم المناسبة التي تُعينه على إبراز معنى اللفظة وآيتها فالآية التي تتعلق بالأخبار الغابرة أو بالوقائع التي حصلت إبان حياة الرسول (ص) هي الجانب التاريخي المقصود، لأنّها تفرض على الطبرسي ذكر الحدث والخبر التاريخي الموثوق

١. البيتان من الكامل لزهير بن أبي سلمى من قصيدة في رثاء هرم بن سنان بن أبي الحارثة المرمي. (ابن أبي سلمى، ١٤١٢ق: ٢٧٥)
يقول: فَضَّلَ الدهرُ العداةَ على قومي وإنّ الدهر يرميني بالمصائب وأنا لا أذمه ثم يخاطب الدهر ويقول: يا دهرُ أنزلت علينا أنواع الفجائع والآلام بسبب موت أشرافنا وصدعت عظم صبرنا وقوامنا.



كبيراً كان أو صغيراً هو نقل الحقيقة الخالصة والعبرة الصادقة لمن شاء الاعتبار، وهنا من خلال بعض الأمثلة نوضح ذلك. في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ١٧) لأجل توضيحها وشرحها ذكر تفاصيل أحداث حصلت مع النبي (ص) أثناء غزوة خيبر، وهي وقعة مشهورة ويقول: ولما قدم رسول الله (ص) المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ثم خرج منها غادياً إلى خيبر حتى إذا كان قريباً منها وأشرف عليها قال رسول الله (ص) قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب المساوات السبع وما أضللن ورب الأرضين السبع وما أضللن ورب الشاطين وما أضللن إننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر ما فيها أقدموا باسم الله وعن سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلاً شاعراً فقال هذه الأبيات:

لا هم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
 فاغفر فداء لك ما أقتينا وثبت الأقدام إن لاقينا
 وأنزلن سكينتنا علينا إننا إذا صيح بنا أتينا
 وبالصياح عولوا علينا^١

(الطبرسي، ١٤١٥ق، ج ٩: ٢٠٠)

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام في فتح خيبر:

أنا الذي سمّنتي أمي حيدرة كليث غابات كريح المنطرة
 أو فيهم بالصّاع كيل السندرة

وقد جاءت هذه الأبيات في الديوان بهذا الشكل:

أنا الذي سمّنتي أمي حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة

١. هذه الأبيات لعامر بن الأكوع أنشدها في فتح خيبر. (البخاري، لاتا، ج ٥: ١٦٦؛ والمبرد، ١٣٨٢ق، ج ٣: ١٣)

يقول: يارب ما أنت ما أطعناك في الفرائض من حجّ وصلاة وزكاة، فاغفر لنا ذنوبنا في خدمة المشركين وثبت أقدامنا وأنزل السكينتنا علينا عند لقاءهم وإذا دعينا للنصرة المظلومين نصرناهم.

عبلُ الدَّارعين شديدُ القِصرَةِ كليث غابات كريبه المَنظَرَةُ
أكيلكم بالسيف كيلَ السَّنَدَرَةِ أضربكم ضرباً يُبينُ الفِقرَةَ^١

(ابن أبي طالب، لاتا: ٤٢؛ ويهقي نيشابوري، ١٣٧٣ش: ٢٨٦)

وأشار في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧) بعمره القضاء ويقول: وكذلك جرى الأمر في عمرة القضاء في السنة التالية للحديبية، وهي سنة سبع من الهجرة في ذي القعدة وهو الشهر الذي صدّه فيه المشركون عن المسجد الحرام فخرج النبي (ص) ودخل مكة مع أصحابه المعتمرين وأقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم رجعوا إلى المدينة واحتجّ الطبرسي بقول الشاعر:

خلّوا بني الكفار عن سبيله قد أنزل الرحمن في تنزيله
في صُحُفٍ تُتلى على رسوله اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهامَ عن مَقِيله
ويذهلُ الخليل عن خليله يا ربِّ إنّي مؤمن لِقِيله
إنّي رأيت الحق في قبوله^٢

(الطبرسي، ١٤١٥ق، ج ٩: ٢٤٨)

١. يقول: أنا الذي سمّته أمه أسداً وأريد أن أقتلكم قتلاً واسعاً كبيراً ذريعاً، ولا أزنكم إلا بزنة السيف. وعاد ضمير المتكلم في «سمّنتي» إلى «الذي» وهذا جائزٌ لأجل تقدم كناية المتكلم.
٢. هذه الأبيات من الرجز لعبد الله بن رواحة (? - ٨ق)، عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري من الخزرج، أبو محمد صحابي، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين، كان يكتب في الجاهلية. منذ أسلم وضع كل مقدرته في خدمة الإسلام، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية.
وقال عبدالله بن رواحة، وهو أخذ بزمام ناقة رسول الله في عمرة القضاء، يقودها، وقد اجتمع أهل مكة وغلمانهم ينظرون إليه، وهو يقول هذه الأبيات. (الزركلي، ١٩٦٩م، ج ٤: ٢١٧؛ و www.khayma.com)

يقول: افتحوا طريقنا وقد أخبر الله به في كتابه المنزل أو في صُحُفٍ تُليّت على رسوله. اليوم نضربكم بالسيف على تأويله كما ضربناكم بالسيف على تنزيله، ضرباً يزيل الرؤوس عن مواضعها وبغفل الحميم والصديق عن صديقه. يا رب إنى مؤمن بالقرآن على ما يقول ورأيت الحق في قبوله.



وهكذا نجد الشاهد الشعري في تفسير الطبرسي قد خدم الجانب التاريخي وزاده وضوحاً وأيده بما سال على لسان العرب من فصاحة، فجاء كأنه جزء من التفسير لا يستغنى عنه.

النتيجة

تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن للشيخ أبي علي فضل بن حسن الطبرسي، كتاب عظيم في بابه، يدل على تبخر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة ورسخ الطبرسي بشواهد الشعرية، المدلولات اللغوية والقرآنية والتاريخية وأثبت أن كل ما جاء في القرآن عربي؛ وكانت غايته القصوى من غزارة شواهد الشعرية تسهيل الفهم والإمعان في الشرح وإكساب القارئ العلم وتوجيهه إلى طريق الرشاد. وفي الختام نقول إن تفسير مجمع البيان باعتباره تفسيراً علمياً أدبياً يحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحقيق في جوانبه المختلفة، إذا ألقينا نظرة على مكتبة التفاسير وجدناه من أهم التفاسير لأنه يعتبر منهلاً عذباً ومورداً صافياً لاستسقاء الباحثين المعاصرين. واملئ كثيراً أن يظفر تفسير الطبرسي بالدراسة الجديرة به ليظهر بأصع ثوب وأبهى صورة.

المصادر والمراجع

ابن أبي سلمى، زهير. ١٤١٢ق. ديوان زهير بن أبي سلمى. صنعة أبي العباس ثعلب. قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور حنا نصر الحتي. بيروت: دار الكتاب العربي.
ابن أبي طالب، علي عليه السلام. لانا. ديوان علي بن أبي طالب (ع). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
ابن خلكان، أحمد بن محمد. ١٣٩٧ق. وفيات الأعيان. بيروت: دار الثقافة.
ابن شداد العبسي، عنتر. ١٤١٢ق. ديوان عنتر. شرح الخطيب التبريزي. كتب مقدمته وهوامشه وفهارسه مجيد طراد. بيروت: دار الكتاب العربي.
ابن عمر البغدادي، عبد القادر. لانا. خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية. لانا.

- ابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم. *لاتا. الشعر والشعراء*. بيروت: دار الثقافة.
- ابن حجر، امرؤ القيس. ١٤٠٩ق. *ديوان امرئ القيس*. تحقيق حناء الفاخوري. بيروت: دار الجيل.
- الأنطاكي، داوود بن عمر. ١٢٩١ق. *تزيين الأسواق في مصارع العشاق*. القاهرة: مطبعة القاهرة.
- الأصفهاني، أبو الفرج. ١٤٠٧ق. *الأغاني*. تحقيق عبدالأمير علي مهنا وسمير جابر. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. *لاتا. صحيح البخاري*. بيروت: دار الفكر.
- البلنسي، محمد بن علي. *لاتا. تفسير مبهمات القرآن بصلّة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الأعلام والتكميل*. دراسة وتحقيق عبدالكريم محمد. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- بيهقي نيشابوري، قطب الدين. ١٣٧٢ش. *ديوان علي بن ابي طالب*. تصحيح وترجمه ومقدمه ابوالقاسم امامي. طهران: انتشارات اسوه.
- الفتنازاني، سعد الدين. ١٤٢٥ق. *شرح المختصر*. طهران: اسماعيليان.
- الثعالبي، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل. *لاتا. نثر النظم وحل العقده*. قَدّم له علي الخاقاني. بيروت: دار صعب. بغداد: دار البيان.
- الجمحي، محمد بن سلام. *لاتا. طبقات فحول الشعراء*. شرحه محمود محمد شاكر. مصر: دار المدني.
- الزركلي، خير الدين. ١٩٦٩م. *الأعلام*. بيروت: دار الجيل.
- الزمخشري، محمود بن عمر. *لاتا. الكشاف*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- السيوطي، جلال الدين. ١٤٠٦ق. *الأشباه والنظائر*. تحقيق عبدالعال سالم مكرم. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. ١٤١٥ق. *مجمع البيان لعلوم القرآن*. بيروت: منشورات الأعلمي للمطبوعات.
- الفراء، يحيى بن زياد. ١٤٠٣ق. *معاني القرآن*. بيروت: عالم الكتب.
- المرزوقي، أحمد بن محمد. ١٤١١ق. *شرح ديوان الحماسة*. نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل.
- مصطفوي نيا، سيد محمد رضى. «أهل البيت عليه السلام في شعر كشاجم». فصلية دراسات الأدب المعاصر. ربيع ١٣٩٠ش. العدد ٩. صص ١٢١-١٥٢.
- الميداني، أبو الفضل. ٢٠٠٣م. *المجمع الأمثال*. تحقيق الدكتور قصي الحسين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- يعقوب، إميل بديع. ١٤١٣ق. *المعجم المفصل في الشواهد النحو الشعرية*. بيروت: دار المكتبة العلمية.

